وهو حقل الغام ، يكفي ان نخطو فيه ولو قليلا لكي نقدم الى اعداء اسرائيل في المنطقة وفي العالم، وعلى طبق من الفضة الخالصة ، المكسب الذي لم يحققوه في المعارك ضدنا . وفي هذه المرة لن ينتهي بنا الامر في « عريضة اتهام » و « خطاب الدفاع » الذي يرد عليها . ان النار ستلحق بكل شيء ، وستقضي على الجميع ... » . (دكتور هرتسل روزنبلوم ، رئيس تحرير جريدة يديعوت احرونوت، افتتاحية يوم ١٩٧٣/١٠/٢٦).

وهذه القناعة رددها ايضا في العدد نفسه من الجريدة أهرون شمير ، وذلك في مقال بعنوان « دعوا الدم يهدأ » أنهاه بالقول : « استخلاص النتائج — نعم ، استيعاب الدروس — بالتأكيد ، اجراء التحقيقات — طبعا وطبعا . لكن بهدوء وبدون قطع الرؤوس » . وكثير من الاسرائيليين غير روزنبلوم وشمير أعربوا عن قناعات مشابهة . لكن ، هل المقصود من وراء الجدل هو « قطع الرؤوس » ؟ وكيف يفسر الناقمون والناقدون اسراعهم في توجيه النقد ؟

تحت عنوان « دروس اولية » ، كتب العميد احتياط متتياهو بيلد في عدد ١٩٧٣/١٠/٢٦ من جريدة معاريف يقول : « يخطىء من يظن ان اجراء تحقيق صادق ودؤوب للتطورات التي اودت بنا من قمة النجاح العسكري في حرب الايام الستة الى القعر ، ليس امرا في مكانه ، او انه غطاء لعملية بحث عن أكباش محرقة نكفر بها عن مشاعر خيبة الامل لدى الشعب . ذلك ان الحقيقة هي انه ليس هناك ضرورة قومية مستعجلة في هذا الوقت أكثر من التحقيق حتى النهاية في قضية الانهيار الذي أصاب قدرتنا على تقدير المعطيات وقدرتنا على فرض سير التطورات في ساحة القتال . وذلك لان ما يلزمنا بذلك ليس فقط الرغبة في معرفة وفهم ما حل بنا ، بل بشكل اساسي الضرورة العاجلة في ضوء خطر نشوب حرب جديدة في المستقبل غير البعيد ، وللتأكيد على اصلاح جميع الاخطاء ، واستيعاب جميع الدروس دون تأخير ، ولا يجوز ان نضع في طريق هذا التحقيق عراقيل الكرامة الشخصية ، او الحسابات الحزبية ، او الخشية الكاذبة من مثل القول : ماذا يقول الناس » ...

واذا كان ذلك عن الشكل ، فماذا عن الجوهر، وعلى ماذا تنصب نقمة الاسرائيليين ؟

ربما كان من الاسهل الاجابة عن هذا السؤال بصيغة معكوسة ، مثل : ماذا لم ينتقد الاسرائيليون ؟

على صعيد السياسة الاسرائيلية التي انتهجتها الحكومة الاسرائيلية الى حين نشوب حرب اكتوبر قال يرمياهو يوفال في « هآرتس » يوم ٧٣/١٠/٢٥ وتحت عنوان « موت الوضع الراهن » : ان حقيقة اننا لم نكن مستعدين بما فيه الكفاية للتطور السياسي ، لا تنبع من أسباب حكومية تقنية بحتة. ان لذلك اسبابا أعمق بكثير . وفي الحقيقة ان الامر يعود ويكشف من جديد ازمة السلطة وانكسار القيادة كما شهدنا ذلك في السنوات الاخيرة . هذا الانكسار نابع من ان جميع الاراء والافكار قد حيّدت بعضها بعضا ، والخط الذي سير الدولة كان خط «الوضع الراهن» المعلن، وانعدام الحسم. وسياسة الوضع الراهن هذه التي وضعتها ووجهتها رئيسة الحكومة هي التي انهارت تماما وبشكل مطلق في يوم الغفران — يوم بدء القتال —. لقد كانت هذه السياسة تفتقر الى القدرة على التحليق . وكانت احتمالاتها محدودة منذ البداية . لقد ولدت أساسا نتيجة ضرورات سياسية داخلية في اسرائيل ، واما النبرة الحادة والتمثيلية تجاه الخارج ، والتي دافعت بها رئيسة الحكومة عن هذا الخط ، فانها فقط غطت الحقيقة الاساسية ، وهي ان هذه السياسة تعبر في الواقع عن الافتقار الى التمثيل وعن ضعف الارادة » .

وكان موشي دور اكثر شمولا وعنفا في مقال نشره في جريدة « معاريف » يوم ١٩٧٣/١٠/٣٠ ، حيث هاجم قيادة اسرائيل وزعامتها مؤكدا : « ان هذه الزعامة قد اضعفتها حرب اليهود ضد اليهود، واعني بالزعامة الائتلاف والمعارضة معا ، وبصورة تحمل على الشك في انها ستتمكن من القيام بواجباتها في الايام الصعبة التي ما تزال بانتظارنا. ان هذه الزعامة قد أضاعت أفضل قواها في خلافات داخلية ، وتورطت في شبكة العنكبوت الحزبية الى درجة ان خيالها المنتج وميزاتها في القدرة على اصدار الاحكام والقدرة على الاستيعاب واتخاذ القرارات تقترب بسرعة من « الخط الاحمر » رغم ان بينها ، للحقيقة ، أشخاصا موهوبين » .

واكثر من ذلك « ان بناءنا السياسي — القيادي قد أفلس . والحل المرغوب فيه لوضعنا الحاضر